سيرة كفاح ضد الصهيونية

هاني مندس، **الصهيونية في الاتحاد السوفياتي**، بيروت: كومبيونشر، الطبعة الاولى، ١٩٩١، ١٩٠ صفحة.

في كتابه «الصهيونية في الاتحاد السوفياتي» قدّم هاني مندس الينا سيرة كفاح مناضل هو يفغيني يفسييف، مع آراء ومواقف لرجل عرفناه وخبرناه على مدار عقود في بقاع شتّى من عالمنا العربي، وعرفته قضية العرب الاولى والمركزية، قضية فلسطين، كواحد من اكثر السوفيات حماساً لها، واكثرهم استعداداً للدفاع عنها، الى درجة الموت من اجلها. هكذا كان يفغيني يفسييف؛ وهكذا قدّمه الينا الكاتب بحماس وصدق يبلغان درجة الايمان.

يتألف الكتاب من خمسة فصول تتناول جوانب مختلفة من حياة وكفاح الراحل السوفياتي، بالاضافة الى جوانب وتطورات تتعلق بقضية يفسييف التي نذر نفسه لها، وهي مواجهة الصهيونية، وفضحها، وتعريتها، ليس في الاتحاد السوفياتي فحسب، بل وفي العالم كله.

في الفصل الاول «يفغيني يفسييف في المواجهة ضد الصهيونية» (ص ٧ ـ ٢٨) قدّم الينا الكاتب حادثة اغتيال يفسييف، في العاشرة من شباط (فبراير) ١٩٩٠، في موسكو، وما احاط بها من تطورات اتخذت منحيين مختلفين: اولهما هو المنحى الذي عمل به اصدقاء يفسييف ومريدوه من افراد وهيئات اجتماعية ونقابية كانت تعرف ماذا يمثّل يفسييف في مواقفه، وتعلم، عن حق، انه سيكون هدفاً للاجرام الصهيوني، ولنشاط عملاء الصهيونية العالمية في موسكو، وان حياته ستكون في خطر يصل درجة القتل، وهذا ما كان؛ ثم هناك المنحى الذي انضوى تحت لوائه اعداء يفسييف، من فعاليات واجهزة اعلامية، حاولت التخفيف من آثار الجريمة، جريمة الاغتيال، الى درجة نفي حصولها، بل وحتى، في حال الاعتراف بحصول الحادثة، كانوا يحاولون الايحاء بأنها لم تكن، قط، لأسباب سياسية، ولم تكن اغتيالاً ! ونقل الكاتب بعضاً ممّا اوردته وسائل الاعلام المختلفة عن الحملة الصهيونية العالمية التي سبقت اغتيال يفسييف، سواء داخل الاتحاد السوفياتي او في دول الغرب واسرائيل؛ وهي حملة ركّزت على وصفه بأنه «قومي شوفيني روسي» و «معاد للسامية»، وفي احيان اخرى نفت الحملة هذه وجود الرجل نفسه! (ص ١١ ـ ١٣)، وذلك في اطار مواجهة المواقف الشجاعة التي اخذت تصدر بشكل متزايد عن الرجل في فضحه للصهيونية وانشطتها المتصاعدة في الاتحاد السوفياتي، واعلان تأييده للقضية الفلسطينية، الذي من ابرزه موقف يفسييف في اعلان «موقفه ضد الاعتراف بالكيان الصهيوني»، الذي اعلنه، صراحة، في موسكو، في مؤتمر صحافي، اواخر العام ١٩٨٧. ثمّ اضاف اليه، لاحقاً، في مقابلة صحافية، اعلانه بأن قرار تقسيم فلسطين، الذي اتخذته الامم المتحدة في العام ١٩٤٧، انما كان قراراً خاطئاً، وهو اعلان لم يصدر عن اي جهة سوفياتية في وقت سابق (ص ١٧). ويعود السبب في تبنّي يفسييف خط الدفاع عن القضية العربية الى سببين رئيسين: الأول عملية ارهاب صهيوني تعرّضت لها ممتلكات شخصية له، حيث حطموا مكتبه واتلفوا اوراقه في براغ ابّان عمله في مجلة «السلم والاشتراكية» في العام ١٩٦٨، وقبلها لمس الصدق والحرارة في مواقف الجماهير العربية من الاتحاد السوفياتي والصداقة مع شعوبه ابّان زيارة نيكيتا خروتشوف للقاهرة، في العام ١٩٦٤، ولقائه مع الرئيس جمال عبدالناصر، من اجل تدشين العمل في مشروع السد العالي (ص ١٨).

ونقل المؤلف عن يفسييف «اسباب تزايد النشاط الصهيوني» في الاتحاد السوفياتي، التي تعود، في